# خصائص الأسرة في المغرب العربي الإسلامي والأندلس

# في القرن (5 هـ/11م)

**الباحث: د. علي طالب**

**الملخص**

الأسرةُ أصلُ التنظيم الاجتماعي لأي مجتمع، والعمود الفقري والبنيان الأساسي والركيزة لبنيانه، وهي أصغر وحدة في التنظيم الاجتماعي، ولاشك أنها أول بنية اجتماعية تتولى عملية التنشئة الاجتماعية كونها عملية ديناميكية متغيرة، تشمل كامل مراحل الفرد منذ ولادته وتستمر حتى وفاته.

وبما أن المجتمع في المغرب العربي الإسلامي والأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي (عصر المرابطين) هو مجتمع منظم بالرغم من تداخل التأثيرات البربرية والأندلسية، فلا شك أن الأسرة كانت من ضمن مكوناته الأساسية، إذ اشتملت على الأب، والزوجة، أو عدة زوجات، وأبنائهم وأحفادهم، والأعمام، وهم مسؤولون عن إعالة أفرادهم العجزة ويتعاونون في العمل ويشتركون في تحمل المسؤولية.

ولعلها أهم الجوانب التي عني البحث بإلقاء الضوء عليها والتي من خلالها تكون المجتمع المغربي والأندلسي في ذلك العصر، للوقوف على العادات والتقاليد الاجتماعية المتبعة والتي من خلالها يمكن رسم صورة ولو كانت غير واضحة تمام الوضوح عن سمت الحضارة المغربية والأندلسية في ذلك العصر، لأن الحضارة كانت عبر تاريخها مزيج عدة عوامل فكرية واقتصادية واجتماعية، وهنا محاولةً لإماطة اللثام عن بعض الجوانب الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر.

**الكلمات المفتاحية:** الأسرة في المغرب، الأسرة في الأندلس، تكوين الأسرة في المغرب والأندلس، خصائص الأسرة في المغرب والأندلس.

## Family characteristics in the Islamic Arab Maghreb and Andalusia in the 5th century AH /11th century AD).


### ABSTRACT

The family is the foundation of social organization in any society, its backbone, basic structure, and cornerstone. It is the smallest unit in social organization and undoubtedly the first social structure to undertake the process of socialization, a dynamic and changing process encompassing all stages of an individual's life from birth to death. Since society in the Islamic Maghreb and Andalusia during the 5th century AH (11th century CE) was organized, despite the interplay of Berber and Andalusian influences, the family was undoubtedly one of its fundamental components. It comprised the father, wife (or several wives), their children, grandchildren, and uncles, who were responsible for the care of their elderly members, cooperating in work and sharing responsibility. Perhaps the most important aspects that this research aims to highlight are those through which Moroccan and Andalusian society was formed in that era, and the prevailing social customs and traditions. Through these, a picture can be drawn, albeit not entirely clear, of the characteristics of Moroccan and Andalusian civilization at that time, as civilization throughout its history has been a blend of several intellectual and economic factors. And socially, here is an attempt to speak out about some of the social aspects that were prevalent in that era.


**Key words:** The family in Morocco, the family in Andalusia, family formation in Morocco and Andalusia, characteristics of the family in Morocco and Andalusia.

**مقدمة.**

مما لاشك فيه أن الجذور الأولى لظهور الأسرة تمتد إلى مرحلة غابرة في القدم، وإذا أردنا التحديد يمكن القول: إن جذورها ترجع إلى بدء التكوين مع خلق النبي آدم عليه السلام، وما يهم أن تكوين الأسرة كان ذو خصوصية في سيرورة التاريخ لابد من الالتفات إليها، وتناولها بالبحث والتحليل، كونها تضفي على مجريات التاريخ أهمية كبرى جداً عبر العصور التاريخية وحتى الوقت الحاضر.

والحق يقال: إن البحث في مثل هذا المجال يحتاج إلى كتب ومجلدات لحصره، لكن ما يعتري نفس الباحث من ميل وشوق إلى الخوض ولو بشكل بسيط في التاريخ الاجتماعي للأسرة المغربية والأندلسية في عصر المرابطين، ومحاولة الكشف عن النظم الاجتماعية في ذاك العصر وأهميتها ودورها السياسي والاقتصادي، كان هو الدافع الأكبر لاختيار هذا الموضوع.

ومن الملاحظ أن الأسرة بشكلها الواسع كانت تجمعها رابطة القرابة التي هي بيئة اجتماعية أساسية لدى معظم القبائل، وداخل هذا النظام عدت العائلة صورة مصغرة عن القبيلة.

وفي ضوء ما سبق جاء البحث مشتملاً على نقاط أساسية في تكوين الأسرة، وهذا ما يبرر إغفال بعض الجوانب التي يمكن للباحثين المتخصصين إظهارها وتسليط الضوء عليها.

**1- إشكالية البحث.**

تكمن إشكالية البحث في محاولة بيان وتوضيح بعض النقاط الأساسية في الحياة الاجتماعية للأسرة المغربية والأندلسية في العصر المرابطي الذي ساد خلال المرحلة المحددة وهي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ومنها: مراحل تكوين الأسرة، ومعرفة التغييرات في خط العادات الاجتماعية عبر ذلك العصر، ومعرفة ما إذا كانت تختلف عاداتهم الاجتماعية عن عاداتنا الحالية.

وتضاف إشكالية وهي: الخلفية السياسية أو الاقتصادية وما كان له من دور كبير في اتخاذ نمط معين من الطرق والأساليب في مراسم الزواج.

وذلك من خلال الاعتماد على استقراء وتحليل المعلومات الواردة في المصادر العربية الإسلامية وغيرها من مصادر ومراجع تساهم في تكوين صورة واضحة عن موضوع الدراسة.

**2- أهمية البحث.**

يعد البحث إحدى المحاولات التي يراد من خلالها تسليط الضوء على الأسرة في المجتمع المغربي والأندلسي خلال العصر المرابطي، وطبيعة الحياة والواقع الاجتماعي في تلك البلاد.

كما تتجسد في دراسة الأسرة المغربية والأندلسية أهمية نسبية لاسيما وأن الباحثين انصبّ جلّ اهتمامهم وبحثهم على جوانب معينة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية دون الالتفات بشكل خاص إلى الحياة الاجتماعية وهذا ما يجعل من الأهمية بمكان الالتفات إلى مثل هذه الدراسة.

وتبرز أهمية البحث من خلال بيان أثر تربية الأبناء والأفراد في الأسرة على حياتهم المستقبلية، إذ عليه يبدو أسلوب الأسرة في التربية والتعليم هو ما ينتج المجتمع، فإما أن يكون ناجحاً أو فاشلاً، وذلك حسب العادات المتبعة في كل عصر.

**3- صعوبات البحث.**

لكل عمل علمي مهما كان نوعه، وطريقة بحثه صعوبات متعددة قد لا يستطيع الباحث جعلها ذلولة أمام البحث بطريقة سحرية، ومنها:

- ضيق الوقت.
- صعوبة جعل المواد والمعلومات الواردة في كتب النوازل إخبارية تخدم البحث.
- اتجاه أغلب المصادر عن الاهتمام بتواريخ الشعوب الاجتماعية حيث كانت أغلبها تتحدث عن التاريخ السياسي أو الاقتصادي، وهذا ما جعل من الصعوبة بمكان انتقاء المعلومات التي تخدم البحث بالطريقة الوافية الصحيحة.

**4- منهجية البحث.**

إن الإطار المنهجي للبحث يعدُّ من أهم الخطوات التي يعتمدها الباحث من أجل إعداد بحثه، وقد قام البحث على دراسة عدة أمور والتطرق لها في محاولة لإلقاء الضوء على عدة نواحي عني البحث بها، وذلك من خلال ما جاء في المصادر والمراجع، معتمداً على مناهج بحثية متعددة، وهي:

- دراسة وصفية تاريخية **(المنهج الوصفي)** من أجل إلقاء الضوء على نظرة الدين الإسلامي للأسرة، ونظرة النفس البشرية والمجتمع للأسرة، إذ أنها من أساسيات استمرار الحياة البشرية.
- دراسة تحليلية **(المنهج التحليلي)** للمصادر العربية الإسلامية لاستخلاص المعلومات المتعلقة بالحياة الاجتماعية، وماهي المراسم التي تتم من خلالها تكوين الأسرة سواءً في المغرب أو الأندلس. وعليه جاء البحث مقسماً إلى:
- مقدمة: وفيها تم التعريف بالبحث من خلال لمحة مختصرة، وأسباب اختيار الموضوع، والأهمية من البحث.
- وعدة فقرات: تشمل الأسرة في المغرب العربي الإسلامي والأندلس في عصر خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كما وتم الالتفات الى الأسرة اليهودية كونها تدخل ضمن مقومات المجتمع المغربي والأندلسي في تلك الآونة.
- وخاتمة: تم التوصل فيها الى أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث، مع ذكر بعض التوصيات والآراء والعبر المستفادة من هذا البحث ومحاولة إسقاطها على مجتمعنا المعاصر.
- وقائمة بأسماء المصادر والمراجع التي تم استخدامها في البحث.

## أولاً- أهمية الأسرة في بناء المجتمع:

### 1- الإسلام وموقفه من الأسرة بشكل عام:

من المعلوم أن الإسلام جاء حاملاً العديد من القوانين والتنظيمات التي غيرت مسيرة المجتمع الذي كان سائداً قبله، تلك القوانين كانت على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية ولاسيما الاجتماعية، وبالأخص الأوضاع الاجتماعية التي هي محور الدراسة في هذا البحث، حيث كانت

له نظرةً خاصةً في سبيل تطور المجتمع، وعلى وجه الخصوص نظرته إلى الأسرة، حيث يلاحظ أن الشريعة الإسلامية التي جاءت نادت بمحاربة الرهبنة، وذلك لتعارضها مع الفطرة الإنسانية وميولها، ورأت في تكوين الأسرة أنها اللبنة الأولى لتكوين المجتمعات والشعوب، حيث أن الإنسان كان وما يزال يقع عليه العبء الأكبر في رعاية من له عليهم حق الرعاية والتربية، وبقاء نوعه الإنساني، واستمراره في مجتمع يقوم على القيم[1]، وهذا الأمر كشفه علماء الاجتماع والإنسان، بأن الأسرة تطورت من عدة جوانب: أهمها نطاق الأسرة ووظائف أفرادها، ومختلف الأسس التي تقوم عليها، وحتى تتم فائدة الفهم والتعرف على الوضع المدروس لابد من البحث من ناحية علم الاجتماع كأساس عقائدي[2].

كان القرآن الكريم خير دليل على أن الأسرة هي أساس المجتمع، واللبنة الأولى في قيامه، والركيزة الأساسية في بنيانه، وهي قوله تعالى: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[3].

وقوله تعالى: "**وجعل الله لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**"[4].

وكان من سنن الأنبياء عليهم السلام تكوين الأسر، لقوله تعالى: "**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بأيةً إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**"[5].

وقد كان الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يحث الناس على الزواج ويفضّله على شباب الأمة الإسلامية وينهى عن الرهبنة، وفي حديثه العظيم ما يؤكد ذلك حيث قال صلوات الله

---

([1]) **ابن كثير**، إسماعيل ابن كثير (ت744هـ/1373): **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج2، ص275.

([2]) **السمالوطي**، نبيل: **الدين والبناء العائلي**، دار الشروق للطباعة، جدة، السعودية، ط1، 1981م، ص83.

([3]) **القرآن الكريم: سورة الحجرات**، الآية: 13.

([4]) **القرآن الكريم: سورة النحل، الآية: 72.**

([5]) **القرآن الكريم: سورة الرعد**، الآية: 38.

تعالى عليه: "...أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني..."[1].

وعلاوة على ذلك يدرك الإنسان أن في تكوين الأسرة مصالح وحكماً أخرى، أغلبها ما يتعلق بالاستقرار النفسي والعاطفي، بما يمكن أن تبنيه هذه الأسرة من علاقات المودة والرحمة، والمستفاد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أنها تدعو إلى تكوين الأسرة والعمل على بناء أسرة تساهم في توطيد دعائم المجتمع الإسلامي الفاضل[2]، وعلى الرغم من الحثّ على الزواج وجد عدد من الأشخاص الذين اعتزلوا الدنيا، وعزفوا عن الزواج تفرغاً إما للعلم أو للعبادة[3]، وذلك بقي من تقيد بضوابط الشريعة الإسلامية وأقاموا الأسر، ومنهم من تعدى الزوجة الواحدة الى اثنتين وثلاث وبعضهم تزوج أربع، بل وبعضهم اشتهر بكثرة الزواج[4].

ومن خلال كل ما تقدم يمكن استخلاص النظرة العامة التي نظر بها الإسلام إلى تكوين الأسرة وكيف أنها نظرة إيجابية محفزة على تكوين الأسرة التي بنظره عماد المجتمعات وأساسها والسبيل الوحيد لقيام المجتمع بشتى شرائحه، وعليه نظر الإسلام إلى تكوين الأسرة نظرة إيجابية خالصة، كما دعا إلى تكوين الأسر التي من شأنها حفظ الشباب إناثاً وذكوراً من الضياع والغوص في عالم الانحلال الخلقي، وهذا ما يتعارض ومبادئ الشريعة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتي كانت تدعو الى الزواج وتكوين الأسرة.

**2- أهمية تكوين الأسرة من وجهة نظر النفس البشرية:**

---

([1]) **البخاري**، محمد بن إسماعيل (ت256هـ/870م): **صحيح البخاري**، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط3، 1987م، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم4776، ج:5، ص1949.

([2]) **القرطبي**، محمد بن أحمد (ت671هـ/1273م): **أحكام القرآن**، تح: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، ج:14، ص17.

([3]) **ابن كثير**، إسماعيل ابن كثير (ت744هـ/1373): **البداية والنهاية**، كتبة المعارف، بيروت، لبنان، د.ت، ج:14، ص 183.

([4]) **الشوكاني**، محمد بن علي (ت1250هـ/1834م): **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ، د.ت، ج:1، ص238.

إن نظرة النفس البشرية لتكوين الأسرة يمكن التماس بعضاً من خصائصها من خلال كتب التراجم التي تناولت النظرة الفردية الذكرية لها، فكان منهم من عزف عن الزواج وتخلى عن كل أمور الدنيا، زاهداً فيها، وذلك إما إقبالاً على العلم أو العبادة[1]، حيث شوهد خلال دراسة تاريخ المرابطين اتجاه الكثيرين منهم الى الاستقرار في الأربطة من أجل عقد حلقات العلم والتفقه في الدين بالإضافة إلى الوظيفة الأساسية للرباطات التي نشأت في ذلك العصر وهي الحفاظ على حدود الولايات من هجمات الأعداء[2]، ومنهم من عزف عن الزواج وتكوين الأسرة لنفقاته وتكاليفه[3]، وكانت حجته في ذلك غلاء المهور، والافتقار بعد الزواج، وكل ذلك يضاف إليه كثرة مطالب النساء وعدم رفقهن بالأزواج[4].

وهذا كان له أثره البالغ على الرجال، وجعلهم يتخوفون من مسؤوليات ومتاعب الأسرة فيما بعد، وبالمقابل لا يمكن إغفال الذين تزوجوا بأكثر من واحدة، بل أكثر من الزواج حتى اشتهر بذلك[5]، فمثلاً (عبد الله بن ياسين) (ت451هـ/1059م) كان لا يسمع بامرأة حسناء إلا وخطبها، فيتزوج في الشهر الواحد عدداً منهن[6].

---

([1]) **ابن الأبار**، محمد بن عبد الله (ت658هـ/1260م): **تحفة القادم**، تعليق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط أولى، 1406هـ/1986م، ص75.

([2]) **مؤلف مجهول** (ت خلال القرن 8هـ/14م): **مفاخر البربر**، تح: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للأبحاث الدولية، مدريد، 1996م، ص214.

([3]) **الزجالي**، عبيد الله بن أحمد (ت694هـ/1295م): **أمثال العوام في الأندلس**، تح: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية، فاس، المغرب، 1391هـ/1971م، ق1، ص242.

([4]) **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص125.

([5]) **البرزلي**، محمد بن أحمد (ت841هـ/1438م): **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام**، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، ، 2002م، ج4، ص 350.

([6]) **ابن عذارى**، أحمد بن محمد (712هـ/1313م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج4، ص 16.

كما وجد عدداً من النساء عزفن عن الزواج حتى وفاتهن مثل: عائشة القرطبية التي توفيت (400هـ/ 1009م)[1]، حيث كانت أبرع نساء عصرها وأعلمهن، وقد ماتت عذراء لم تتزوج، ولعل مرد ذلك أنها تفرغت للعلم، وعلى الرغم من أن عدداً من النساء لم تكن تريد الزواج إلا أن نسبتهم بقيت أقل من الرجال في المجتمع في ذلك العصر.

وأما بالحديث عن تعدد الزوجات في ذلك العصر سواءً بالمغرب كان أم بالأندلس، فالملحوظ أنه كان للنساء نظرةً مغايرة في ذلك، ولم تغفل كتب الأمثال عن تصوير تلك الحالة التي فضلت فيها المرأة الموت على تعدد الزوجات[2]، ومهما يكن من الأمر ومهما اختلفت نظرات الجنسين سواءً الرجال أو النساء إلى الزواج واختلفت الأسباب والمسببات التي دعت كلا الجانبين إلى اتخاذ مثل تلك المواقف والنظرة الى الزواج؛ فإن الزواج يبقى العملية التي لا يمكن لأي مجتمع أن يعزف عنها، كيف لا وهو استمرار للجنس البشري وتطوره ونادت به جميع الشرائع السماوية كوسيلة لبناء المجتمعات البشرية؟.

## ثانياً- الأسرة المغربية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

### 1- خصائص الأسرة المغربية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي:

عاش سكان المغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين في ظل عادات وتقاليد موروثة، بعضها ورثها عن الأجيال السابقة، وبعضها استحدثت خلال تلك الفترة والعصر نتيجة لظروف سياسية ودينية مرّت بها المنطقة، وسيتم التعريف عن العادات والتقاليد والأسرة وما تتضمنه من عادات وخطوات متبعة تتعلق بتكوين الأسرة، ونبدأ بالأسرة:

من الملحوظ أن **الأسرة** كانت تكون نواة المجتمع المغربي، وهي تتكون من الزوج والزوجة وأبناءهما، وكان الزوج يمكن أن يتزوج بأكثر من واحدة طبقاً للشريعة الإسلامية، على أن لا يتجاوز أربع زوجات، إلا أن بعض رؤساء **القبائل** كانوا في بعض الحالات يتزوجون أكثر من

---

([1]) عائشة بنت أحمد بنت محمد بن قادم، قرطبية من أعدل أهل زمانها فهماً وعلماً وأدباً، كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر، توفيت سنة أربعمائة. **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج4، ص356.

(2) **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ج:2، ص350.

العدد الشرعي وكان هذا الأمر قبل مجيء عبد الله بن ياسين، وعلى هذا الأمر قال ابن أبي زرع: "وكان يحيى قد أنزله معه – أي أنزل عبد الله بن ياسين – فوجد عنه تسع نسوة فسأله عنهن، فقال: هن زوجاتي، فقال له الفقيه: هذا شيءٌ لا يجوز في دين الإسلام وإنما يجوز في ذلك أربع، ففارق خمساً، فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن، ثم قال: إن جميع الرؤساء من جدالة ولمتونة[1] على مثل حالي فأنذرهم وأعرفهم حكم الله "[2].

ومن خلال ما أخبر عنه المؤرخ ابن أبي زرع يمكن القول: إن **العرف** كان هو المتبع بين رؤساء العشائر دون العامة، وقام ابن ياسين بتغيير هذا الوضع حيث أرشد أهل القبائل التي نزل بها إلى أحكام الدين في تلك الأمور التي كانوا على الأغلب أما يجهلونها أو لم يكونوا يلتزموا بتطبيقها تمام الالتزام، وعلى الأغلب أن السبب الأساسي في ذلك هو عدم تعمقهم في تعاليم الدين الإسلامي، ومعرفة ضوابطه ونواهيه تمام المعرفة، الأمر الذي جعلهم لا يتقيدون تمام التقيد بالأمور الدينية وخاصة فيما يتعلق بموضوع الزوجات، وعددهم الذي حدده الشرع بأربع نساء كحد أقصى، وقد شرط الشرع الإسلامي ذلك بالعدل بين النساء فإن لم يكن ذلك فجاء أمر الشرع بواحدة من النساء فقط، وذلك ما يؤكد أن الإسلام جعل للزواج عدة ضوابط وقواعد لابد من الالتزام بها ولم يترك للرجال الحرية المطلقة في الزواج وتعدد زوجاتهم، ورغم كل ذلك وجد من خالف تلك الضوابط وأكثر من الزوجات وزاد منهم مخالفاً الشرع في ذلك، وملبياً لرغباته النفسية[3].

ويلاحظ في بعض الحالات أن رجالاً في المغرب والأندلس قد تزوجوا من نساء من جنسيات مختلفة عن جنس البربر، ولم تحدد المصادر المتبعة في البحث ما هي الجنسية الأساسية التي عمد رجال المغرب على التزوج منها وكل ما ذكرته أنهم قاموا بالتزوج من جنسيات مختلفة عن القبائل البربرية التي كانت موجودة، وإن وردت بعض الروايات التي تحدد الجنسية على النحو

---

[1] قبائل أصيلة سكنت بلاد المغرب الإسلامي، وكان لها أثر كبير في أحداث التاريخ الإسلامي على مر العصور. **ابن خلدون: العبر**، ج4، ص222.

[2] **ابن أبي زرع**، علي بن عبد الله (ت720هـ/1320م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: محمد الهاشمي الفيلالفي، الرباط، المغرب، 1936م، ج:2، ص 11.

[3] **ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ج:2، ص102.

يذكر زواج الوزير ابن جامع من امرأة تركية[1]، كما أن المصامدة يعدون أن الزواج من حبشيات عاراً ويتبين ذلك من خلال الحوار الذي دار بين أبي مدين أحد المتصوفين بالمغرب وبين أبي محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذه ما يفيد ويشير إلى استنكار المصامدة الزواج من الحبشيات حيث قال أبو مدين لتلميذه: "أو تفعل ذلك – أي الزواج من الحبشية – ونكاح الحبشية عند المصامدة عار"[2]، ولعل هذا الأمر يرجع إلى نظرة المصامدة للحبشيات النظرة السلبية واعتبارهن أقل منهن منزلة، ولكن ما هو السر الكامن وراء تلك النظرة التي نظر بها المغاربة إلى الحبشيات على الرغم أنهم تعايشوا مع أغلب الشرائح التي تكون منها المجتمع المغربي ولا سيما اليهود الذين وجدت عدة مصادر ذكرت وأكدت التعايش الذي حصل مع المغاربة وأنهم كثيراً ما اشتركوا في الأمور الحياتية والمعيشية مع المغاربة في كل الأمور.

ومن الملحوظ أيضاً أن الرجال كانوا لا يتزوجون إلا إذا تيسرت أحواله المادية والتي تكون ميسورة، ومن ذلك موقف المرأة التي اشتكت إلى أبي العباس المتصوف المتوفى بمراكش سنة (610هـ/1213م) وأن لديها أربع بنات لا يتزوجن فقالت له: "عندي أربع بنات بالغات قادرات على الزواج وليس لهن أبٌ ولا مال والناس لا يتزوجون إلا من كان له مال وأنا فقيرة"[3]. وعلى هذا قام أبو العباس بتزويجهن ومشاركة غيره من الصالحين في جمع المال وإنفاقه على تزويج الفقيرات ومن هؤلاء محمد بن أحمد اللخمي[4].

---

(1) **المراكشي**، عباس بن إبراهيم (ت 1379هـ/1959م): **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، عدد الأجزاء:8، فاس، ط1، عام 1936م، ج1، ص 280.

(2) **التادلي**، يوسف بن يحيى (ت617هـ/1220م): **التشوف إلى رجال التصوف**، تح: أدولف فور، الرباط، المغرب، 1958م، ص 326.

(3) **المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش**، ج:1، ص 276.

(4) أحد الصالحين بتلمسان والمولود بها سنة (855هـ/ 1162م) والمتوفى سنة (614هـ/1217م)، كان ذو حظوة عند الخلفاء الموحدين، وكان يتصدق بما يحسنون به إليه ويجهز منه فقيرات البنات وضعيفاتهن. **حسن**، علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980، ص 407.

وكان الرجال يدفعون مهوراً لزوجاتهم، إذ أشير للمهر الذي دفعه أبو عبد الله ابن أبي إبراهيم والي غرناطة للسيد أبي حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه بمراكش سنة (564هـ/ 1168م)[1].

أما بالنسبة إلى عقد الزواج فكان يتم عادة في المساجد[2] والدليل على ذلك ما أشار إليه التادلي بقوله: "وكانت عامة أهل البلاد يعقدون أنكحتهم في المساجد"[3].

فإذا ما تم عقد القران أقيمت الأفراح ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين تزوج ابنة محمد بن سعيد بن مردنيش أقام مهرجاناً عظيماً يعجز اللسان عن وصفه[4]، وكان المغنون يشتركون في إحياء حفلات الزواج، وأشير إلى كثير من هؤلاء المغنيين الذين أقلعوا عن الغناء في الأفراح والحفلات والسهرات وانصرفوا بدلاً عن ذلك إلى العبادة، ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي حيث قال: "كان في حداثته محباً للهو يغني في الأعراس ويضرب في الدف"[5].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن الرجال الذين آل بهم الأمر إلى الاتجاه نحو العبادة والتفقه في الدين كانوا فيما سبق يشتغلون بالغناء في الأفراح والضرب على الدف وكل أنواع الفرح والابتهاج بالأعراس التي كانت تقام في تلك الأوقات، وبجانب ما تم ذكره من القيام بتلك الأمور ربما قام بعض المهرة ببعض الألعاب وذلك إدخالاً للسرور على الحاضرين، مثل ذلك ما قام به أهل قرية (تاورا) إحدى قرى مدينة مكناسة في أفراحهم حيث كان السودانيون يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون ونساؤهم يضربون ألة اللعب ويغنين والزامر – الذي يقوم بحمل ما نسميه المزمار وينفخ فيه من أجل إعطاء الألحان الموسيقية – يقوم بالزمر لهم[6]، وأحياناً كانت تزف العروس

---

(1) **حسن: الحضارة الإسلامية**، ص 407.

(2) **ابن عذارى: البيان المغرب**، ج4، ص22–23.

(3) **التادلي: التشوف إلى رجال التصوف**، ص75.

(4) **ابن أبي زرع: الأنيس المطرب**، ج:2، ص 188.

(5) **التادلي: التشوف إلى رجال التصوف**، ص307.

(6) **البيذق**، أبو بكر الصنهاجي (ت555 م): **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، نشر: ليفي بروفنسال، باريس، فرنسا، 1928م، ص60.

إلى بيتها الزوجية وهي راكبة على خيل ويحيط بها المغنون ووسائل اللهو المختلفة في الموكب كما في أفراح تلمسان[1].

## 2- كيفية تكوين الأسرة المغربية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

الملاحظ أن الأسرة بشكلها العام، كانت تجمعها رابطة القرابة التي هي بنية اجتماعية أساسية لدى معظم القبائل، وداخل هذا النظام المدروس تعد العائلة صورة مصغرة لهذه القبيلة أو لتلك القبيلة، وتمثل السلالة الأبوية نظام القرابة الذي يعتمد عليه التنظيم العائلي[2]، ولابد من ذكر العائلة بشيء من التعريف، وإماطة اللثام عن أهم النقاط التي من خلالها يمكن التعرف على ماهية العائلة التي كانت الأساس في تكوين المجتمع المغربي.

بالرغم من قلة المعلومات الكافية حول الحياة العائلية في المغرب لقلة الإشارات المتوافرة في بطون الكتب التاريخية حول هذا الموضوع إذ جاءت أغلب مادتها تتكلم عن التاريخ السياسي، خصوصاً فيما يتعلق بوظائف الأسرة والعائلة في هذا النوع من المجتمعات، تبقى العائلة على العموم المؤسسة الاجتماعية التي ساهمت بشكل فعال في صياغة تاريخ الشعوب، فهي نواة تكوين المجتمع وأداة لدراسة بنيته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والباحث في التاريخ الاجتماعي يجد أنها قامت على نظام هرمي أساسه السلطة والنفوذ الذي يمثله رب الأسرة[3].

---

(1) **عنان**، محمد عبد الله: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القاهرة، مصر، ط1، 1964م، ص234.

(2) **ابن أبي زرع: الأنيس المطرب**، ج:2، ص 188.

(3) **دحماني**، سهام: **العائلة الصوفية بين القدسية والتفكك**، قراءة في تاريخ العائلة الصوفية في الفترة الممتدة من القرن6هـ/9م، مقال ضمن كتاب المرأة والخطاب الصوفي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2010م، ص 103.

ووجد من خالف هذه القاعدة، عند قبائل صنهاجة التي احتكرت فيها الزوجة السلطة الأساسية المطلقة بفضل مركزها الاقتصادي[1]، وقد تكونت العائلة في المغرب بشكل أساسي من الأب والزوجة والأولاد، وكانت تتكون أحياناً من الأب وعدة زوجات والأولاد، ووجدت بعض العائلات التي تتكون من الجد والجدة والأب والأم والأولاد والخادم[2].

ومن خصائص العائلة في المغرب في ذلك الوقت أنه كانت عائلة موسعة – بمعنى أنه كانت تعيش في أحضان العائلة الواحدة عدة عائلات زوجية ويشتركون المنزل أي تحت سقف واحد[3]– كما ويشتركون في النفقات والمصاريف الخاصة بهذه العائلة، وهذه العائلة كانت تضم دون شك الأطفال حتى أبناء العمومة، وهي عائلة الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية، والنسب فيها ذكوري – أي إلى الأب – والانتماء أبوي، ويبقى انتماء المرأة لأبيها، مثل عائشة بنت أبي الطاهر، وكان البنات يتركن المنزل العائلي عند الزواج ويلزمهن العرف والدين بالوفاء لزوجها[4]، ومما هو جدير بالذكر أن الميراث كان ينتقل في خطٍ أبوي، وكان الأبن الأكبر هو الذي يحظى بالنصيب الأكبر في الميراث[5].

أما عن خطوات تكوين الأسرة في المجتمع المغربي، سيتم البدء بكل خطوة على حدى:

**1. الزواج:**

---

(1) **بوتشيش**، إبراهيم القادري: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، منشورات الجمعية المغربية للدراسات التاريخية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط2، عام 2004م، ص22.

(2) **بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ص108.

(3) **مصطفى**، بوتنفوشت: **العائلة الجزائرية**، التطور والخصائص الحديثة، تر: أحمد دمري، الجزائر، 1984م، ص37.

(4) **الونشريسي**، أحمد بن يحيى (ت914هـ/1509م): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج2، ص46.

(5) **ابن رشد الجد**، محمد بن أحمد (ت520هـ/1127م): **فتاوى ابن رشد**، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ق1، ص312.

يعد الزواج في المجتمع المغربي وفي كل المجتمعات اللبنة الأساسية لبناء المجتمعات، وهو من الظواهر الاجتماعية التي كانت تمارس منذ القدم، وأشير سابقاً إلى أن الزواج من الأمور الأساسية التي حثّ عليها الإسلام وذلك لما له من تحصن للمرأة الرجل على حدٍ سواء وإبعادهم عن الفواحش وغض البصر عن المحرمات، وكان في المجتمع المغربي الذي هو معرض الحديث يشترط في عقد النكاح ثلاث فرائض هي الولي والصداق وشاهدا عدل، وسنن ثلاث أيضاً وهي إظهار العرس والوليمة والدخلة[1].

وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة حول سن الزواج الذي به كان يتم عقد القران، إذ لا معلومات كافية عن نسبة العوانس والأرامل في المجتمع المغربي في ذلك العصر، لكن الدارس لتاريخ ذلك العصر يجد أن الصراعات والحروب هي السبب الأساسي الذي جعل من عدد النساء أكبر من عدد الرجال، وكان الزواج في المجتمع المغربي يتم عن طريق الخاطبات اللائي كن يقومن بتولي أمر الاتفاق بين أهل العروسين بشأن الزواج[2]، وكانوا يعدون أن يوم الجمعة هو يوم مفضلاً من أجل الخطبة[3]، وعلى الرغم من عدم المعرفة عن العادات والتقاليد التي كانت متبعة بشأن تقاليد الزواج، بسبب سكوت المصادر عن التقاليد التي كان يتم من خلالها الزواج، إلا أنها لم تخرج من الإطار العام للأعراف والشريعة الإسلامية في كامل بلاد المغرب الإسلامي، وقد وجد الاختلاف حتى في تكاليف الزواج التي اختلفت ما بين المناطق الحضرية والريفية في المغرب الإسلامي في المرحلة المدروسة، والمرجح حسب المصادر أن تكاليف الزواج في المناطق الحضرية كانت أغلى ثمناً من تكاليفه في المناطق الريفية، وكان كثيرون من الزهاد من يترفعون عن الزواج بالرغم من أنه نصف الدين، ومع ذلك كان الزواج أمراً لابد منه، لأنه وسيلة لإنجاب الأولاد وتعزيز الروابط بين الأسرة والمحافظة عليها وعلى إرثها[4].

وحتى الزواج كان يتم من خلال مراحل متعددة أهمها:

---

[1] **ابن سهل**، عيسى بن سهل (ت413هـ/1022م): **ديوان الأحكام الكبرى**، تح: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م، ص175.

[2] **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص100.

[3] **بوتشيش: المغرب والأندلس** ، ص23.

[4] **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج:2، ص208.

★ **المهر ( الصداق):**

الملاحظ أن الشرع الإسلامي اهتم بتحديد قيمة الصداق – أي المهر الواجب دفعه من قبل العريس للعروس – إذ لا حد لأكثره ولكن أقله محدود، وهذا الحد هو ربع دينار ذهب، أو ثلاثة دراهم كيلاً وما قيمة أحدهما، ولا يقوم بالخطبة حتى يقدمه إذا كان المهر يوافق ذلك المقدار المحدود[1]، والملاحظ أن المهر في المغرب وأريافه في الفترة المدروسة كانت تختلف قيمته حسب الوضع الاجتماعي، وكذلك باختلاف البيئات، وحسب موقع العائلات في الهرم الاجتماعي، وما يهم في موضوع الصداق هو أنه لم يكن محدداً في المغرب والأندلس وفي أريافه[2]، وهو يرتبط بقدرة الزوج على تأمين المهر المتفق عليه، ورضا الطرفين، والملاحظ أنه جرى العرف أن يقسم الصداق في كامل بلاد المغرب إلى جزأين جزء يعرف بالنقد، وجزء أخر يعرف بالمهر[3]، وكان يشترط أن تستلم الخطيبة الجزء الأول قبل الزواج لشراء السوار اللازم للعرس وبعض الحناء والصباغ، واستئجار الحلي والملابس، وهو ما يسمى بحق العرس والواجب تقديمه من العريس إلى العروس[4].

وكثيراً ما كان عددٌ من الأهالي وخاصةً من أهالي العروسين لا يقدمون الصداق نقداً، بل كانوا يقدمون عدداً من المواشي، أو قطعةً من الأرض[5]، وأما عن كيفية تقديمها للعروس فيتم تقديمها على شكل لوازم تحتاج إليها الخطيبة كالصوف والكتان والحلي[6]، ومن العادات المتعارف عليها

---

(1) **ابن سهل: ديوان الأحكام الكبرى**، ص175.

(2) **الوسياني**، سليمان عبد السلام (ت557هـ/1161م): **سير مشايخ المغرب**، تح: إسماعيل العربي، د.ت، الجزائر، 1985م، ص25.

(3) **ابن رشد: فتاوى ابن رشد**، ج:1، ص608. **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج:2، ص208.

(4) **المالكي**، عبد الله بن محمد (ت453هـ/1061م): **رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م، ج2، ص251.

(5) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص111.

(6) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج9، ص18.

لدى سكان بعض الأرياف والبوادي أنهم كانوا لا يسمون صدقاتهم، ولا يشهدون عليها وقت كتابة العقد وتسجيله، وكان هذا الأمر يتم عند الابتناء، ولكن العادة أن الصداق عندهم معروف مقرر سابقاً لا يزداد لجمال ونحوه ولا ينقص لقبح ونحوه[1].

وعليه يمكن استنتاج أن الصداق كان من الأمور المسلم بها قبل أن يتم البدء بالزواج على الرغم من الاختلاف في قيمه هذا الصداق – المهر – والاختلاف بكيفية تقديمه إلى العروس.

★ **عقد القران:**

بعد الاتفاق على الخطبة والصداق – المهر– يتم الانتقال إلى مرحلة تالية من مراحل الشروع بالزواج وهي (عقد القران)، أما عن كيفية عقد القران فكان يتم عادةً على يد إمام المسجد في القرية وإمام المسجد في المناطق الحضرية، وإذا ما تعذر ذلك فإن أهل العروسين يستدعيان أحد العدول من النواحي القريبة وفي حالةٍ ما إذا كانت القرية نائية وبعيدة، فإنه كان يكتفى بأهل القرية أو بخمسة أشخاص من أهل المرأة للشهادة على صحة هذا الزواج[2]، وفي فترات القلاقل والفوضى التي تعم المنطقة كان الناس يلجؤون إلى عقد النكاح في الحصون والقرى بشهادة أشرار الناس، فأفتى بذلك الفقهاء، وعدم جوازه وذلك لما لهذه العقود من فساد وضرر على الطرفين، ونظراً لحالة الحروب والصراعات التي كانت تتخلل تلك الفترات التي شهدها المغرب، فمن المؤكد أن هذا النوع من عقد القران ساد في معظم تلك المناطق، وعلى مجمل الحديث يمكن استنتاج أن عقد القران من أهم المراحل التي يمر بها العروسين قبل إعلان زواجهم، واختلف المجتمع المغربي في كتابة هذا العقد بناءً على الظروف السياسية والاجتماعية التي مر بها المجتمع المغربي في الفترة المدروسة[3].

---

(1) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج2، ص137.

(2) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص299.

(3) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج2، ص137.

★ **وليمة العرس:**

وبعد أن يكون تم الاتفاق على الصداق وعقد القران، تقام وليمة العرس لإعلان القران، ويدعى فيها أهل العروسين، وتنحر الذبائح من الأغنام والأبقار، ويلاحظ قيام العريس بتحمل نفقات العرس[1]، وهي التي تسمى "هدية العرس"، حيث يبعث الزوج بها إلى أهل العروس زوجته، فيطعم منها أل العروسين والأقارب والجيران وجميع المعزومين[2]، وكان كثيرين في المجتمع المغربي يتهادون فيما بينهم في الأعراس مجموعة من الأشياء نظراً لتكاليف الزواج الباهظة ولتكاليف الوليمة ولوازم العرس، تلك الأشياء مثل الدراهم والدنانير والجزور، وبعض الأطعمة كالزيت، والقمح والشعير واللحم والفاكهة[3]، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تماسك المجتمع المغربي والأندلسي، وحرصه على تطبيق الأعراف والتقاليد والعادات، كما وكانت تصاحب حفلة الزفاف الكثير من الزغاريد والهتافات والأغنيات[4].

وفي ضوء ما تقدم يبدو أن هذه العادات شكلت قوانيناً أساسية اعتمد عليها أهل المجتمع المغربي في القيام بإجراءات الزواج، وظلت البكارة هي أهم شرط يشترطه الرجل في المرأة التي يعتزم على نكاحها[5]، كما وكان للرجل الاختيار بين ردها أو انتقاص الصداق، وذلك حسب رغبة صاحب الأمر، وهناك من النساء من كن يعترفن بفعلتهن عند زواجهن، وكان على الرجل أن يختار البت في أمره فإما أن يقبل بالواقع، أو يقوم بالإجراء الذي يراه مناسباً على حد تفكيره[6].

وعلى هذه الخطوط العريضة يتم القيام بإجراء العرس الذي هو الأساس الأول في تكوين الأسرة المغربية، أما بعد أن تقام وليمة العرس وبعد الدخلة التي هي ليلة متعارف عليها في كل السنن الإسلامية وغيرها من السنن تبدأ مرحلة أخرى وهي مرحلة الحياة الزوجية.

---

(1) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج2، ص233.

(2) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص92.

(3) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج9، ص182.

(4) **بوتشيش: المغرب والأندلس**، ص30.

(5) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج3، ص230.

(6) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص167.

★ **الحياة الزوجية:**

وفي البيت الزوجية تبدأ رحلة الحياة المشتركة بين الزوج وزوجته، ويبدأ معها أول خيط في نسيج المجتمع الذي سيقوم على روح هذه الأسرة وعصارة أفكارها وخصائصها، المهم أن الزوج في البيت الزوجية هو الوحيد الذي له حق الطلاق، وبالرغم من إشارة بعض الدراسات إلا أنه كان لا يحق للزوجة أن تطلب الطلاق، مهما قاست وعانت في بيتها الزوجية، وليس عليها إلا الخضوع التام[1].

لكن هذا القانون الذي سار عليه المجتمع المغربي وجد من عارضه، وشذ عنه وخالفه، ولم يتقيد بتلك الضوابط التي وضعها المجتمع، وهناك نساء من الأرياف والبوادي في المجتمع المغربي كن ممن يلجأن إلى الهروب أو مغادرة البيت الزوجية، أملاً في الحصول على حياةٍ أفضل إلا أنهم كن يفعلن العكس تماماً، بل بالأحرى أنهن كن يطرقن أول مسمارٍ في نعش الأسرة التي عملوا على تشكيلها وتطويرها عبر العديد من السنين، وكانت المرأة التي تترك البيت الزوجية تدعي أن زوجها تخلف وأنها تريد الطلاق، غير أن الفقهاء لا يصدرون أمراً إلا بوجود الشهود، وكان ذلك نقطة قوة في صالح الرجل، حيث أنه لم يكن يتم البت فوراً لصالح المرأة[2].

وهناك من النساء من يلجأن الى الخلع– أي نقض عقد الزواج الذي تم إبرامه فيما سبق[3]– وغالباً ما كان للأزواج دور حيث كانوا يتدخلون وذلك من أجل منع النساء من إعادة الزواج، وذلك من أجل إرضاع الأطفال أو حتى لأسباب أخرى غير ذلك تستدعي وجود المرأة[4]، كما وبلغت درجة سيطرة الرجل على المرأة في بعض الأحيان حد التصرف في أملاكها واستغلالها، وملحوظ أن معظم سكان المغرب اعتادوا نكاح المرأة فقط من أجل مالها، وعليه كانت المرأة ذات المال الوفير هي التي تتلقى عروضاً للزواج تكون غالباً أكثر مما تتلقاه المرأة الفقيرة[5].

---

(1) **دحماني**، سهام: **العائلة الصوفية بين القدسية والتفكك**، ص20.

(2) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج:3، ص111.

(3) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج4، ص8.

(4) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج4، ص10.

(5) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج10، ص248.

والجدير بالذكر أن ظاهرة تعدد الزوجات غدت عادة منتشرة وليست بغريبة على المجتمع المغربي وخاصة في الفترة المدروسة، والميل إلى زوجة وهجر الأخرى وتعدد الأبناء كثيراً ما يؤدي إلى حدوث نزاعات على ميراث الأب بعد وفاته، وتركزت غالبية هذا النزاع بين أبناء الشخص المتوفى، ولا توجد دلائل كافية تؤكد على أن الزواج هل كان يتم عن حب أم لا؟ أم أنه كان زواجاً سياسياً بقصد التقرب من بعض العائلات المشهورة؟ وحتى الحب إذا كان موجوداً في علاقات الزواج فإنه ظل مكتوماً، وعلى الأرجح أن السبب في ذلك هو القيود الاجتماعية، ولم تجهر المرأة عن عواطفها خوفاً من الرقباء خاصةً في الأرياف والبوادي المغربية وفي المناطق الحضرية أيضاً[1].

وتدل طبيعة الإنسان على أن الحب موجوداً في أوساط المجتمع المغربي، ويجب عدم إغفال ظاهرة الزواج المختلط، التي كانت أيضاً من الظواهر الشائعة، حيث شاع الزواج بين العرب والبربريات[2].

وممكن أن يكون الرجل أبيض والزوجة سمراء أو العكس[3]، ووجد أيضاً زواج السر، وهو من العادات المتفشية في بعض المناطق، كما حارب الشيوخ والفقهاء مثل هذه الظواهر حتى لا تتفشى في المجتمع، ولكن لا يمكن الجزم على العموم أنهم – الفقهاء ورجال الدين – تمكنوا من أن يلغوا هذه الظاهرة أم لم يتكمنوا على الرغم من العمل على وضع حدٍ لهذه التصرفات[4].

وفي بعض الأحيان يتم إجبار المرأة على الزواج من شخص لا تريده كأن يكون شيخاً مثلاً، وهذا الأمر له نتائج سلبية حيث يدفعها إلى خيانته، مثلما حدث بنواحي القلعة، فكانت نتيجة الخيانة أن أعدم الشاب وقطعت عنقه، وأجبرت المرأة على تحمل الشيخ العجوز[5].

---

(1) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج5، ص127.

(2) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج:3، ص111. **بوتشيش: المغرب والأندلس**، ص25.

(3) **التادلي: التشوف إلى رجال التصوف**، ص326.

(4) **الوسياني: سير مشايخ المغرب**، ص36.

(5) **البكري**، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1095م): **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، د.ت، ص 189.

وبعد الاستعراض بشيء من التفصيل عن العائلة والزواج والحياة الزوجية في المغرب في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وعلى الرغم من أن البحث لا يعطي الموضوع حقه، لقلة المادة الخبرية المتعلقة بهذه الفترة بقي محاولة تكوين صورة واضحة عن أهم الأوضاع الاجتماعية التي سادت تلك المجتمعات في تلك الآونة.

## 2- الأبناء وتربيتهم في المغرب في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

مما لا شك فيه أن المجتمع المغربي اهتم بتربية الأبناء وتنشئتهم نشأة تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية وتعاليم الدين وتقاليد القبيلة أيضاً، وتعد تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة حجر الزاوية داخل الحياة العائلية، وهي عملية تسعى لتنشئة الطفل ونقل المعرفة من الموروث الحضاري والبيئة الاجتماعية، وتكوينه جسمياً وأخلاقياً وفكرياً لتحمل مسؤولياته داخل المجتمع[1]، كما أن تربية الأبناء هي قضية خاصة بثقافة المجتمع، وتتم عن طريق نظام التعليم الاجتماعي للطفل، وقد ظلت الأسرة هي المؤسسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل تربيته الخاصة، ومن الملاحظ أن سكان الريف كانوا يؤثرون الذكور على البنات[2].

كثرت الإشارات إلى اهتمام المجتمع المغربي بتربية النشئ، وإلى حث الآَباء والأولياء على ضرورة تلقين الأطفال التربية الدينية منذ الصغر، وطالب بعضهم بضرورة ضرب الآَباء لأبنائهم عند تقصيرهم، وكان من حرص الفقهاء على ضرورة تربية النشأ والأبناء الكثير من الأدلة التي لا حصر لها، وإلى جانب الأسرة ودورها في تربية النشأ وتعليمه، فقد تولى الكتاب أيضاً في المساجد مهمة تربية النشأ وتلقينهم التربية وتقويم السلوك وتكوين الشخصية للطفل[3].

---

(1) **بوتشيش: المغرب والأندلس**، ص55.

(2) **مصطفى: العائلة الجزائرية**، ص276.

(3) **مصطفى: العائلة الجزائرية**، ص276.

وعقدت حلقات التعليم والتربية في المساجد قبل أن تقوم المدارس بالوظيفة التعليمية والتربوية، وكانت غالبية العلوم في تلك العصور تقوم على علوم القرآن والدين الإسلامي، ويجب عدم إغفال دور الوسط المحيط في توعية الأبناء وتربيتهم وذلك من خلال مواقف الحياة اليومية[1]، أما في الريف فقد كان للمستوى المادي للأسرة الدور الأكبر في توعية الأبناء وتربية النشأ، حيث أن حالة الفقر التي تعيشها معظم العائلات في الريف، كثيراً ما كانت الدافع الذي يدفع بالأبناء للعمل إلى جانب أوليائهم، وإلى جانب ذلك فإن معظم حالات الفوضى والحروب والصراعات التي عاشتها مناطق المغرب، فهذا يعني أن أولاد هؤلاء الناس في المناطق الحضرية والريفية كانوا يساعدون أولادهم في العمل في المزارع، ورعي الأغنام، والبيع في الأسواق...إلخ[2].

ومما لاشك فيه أن الأيتام حظوا باهتمام بالغ من قبل الفقهاء، نظراً لحساسية المرحلة التي يمر بها هؤلاء الأطفال، خلال الفئة العمرية، وأيضاً عملاً بأحكام الدين الإسلامي الحنيف الذي أوصى بكفالة الأيتام وحمايتهم حتى يبلغوا الحلم[3].

هذه كانت نظرة عامة عن الحياة العائلية في المغرب والتي سادتها التعاليم الدينية، والضوابط الشرعية، وسارت وفقاً للعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات، إذ شكلت المرأة والطفل عنصرين هامين في هذه الحياة، وبالرغم من بعض الفترات الحرجة التي كانت تعتريهم من حين لأخر[4].

## ثالثاً- الأسرة الأندلسية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

هل اختلفت الأسرة الأندلسية عن الأسرة المغربية من حيث مراحل التكوين والخطوات المتبعة في تكوينها؟ في هذا المبحث سيتم الالتفات لمراحل تكوين الأسرة والخطوات المتبعة في تكوينها في المجتمع الأندلسي وملاحظة الفوارق بين المجتمعين المغربي والأندلسي، والخطوة الأولى في تكوين الأسرة هي:

---

(1) **بوتشيش: المغرب والأندلس**، ص62.

(2) **مصطفى: العائلة الجزائرية**، ص276.

(3) **مصطفى: العائلة الجزائرية**، ص278.

(4) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج5، ص154.

## 1- كيفية تكوين الأسرة الأندلسية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

### 1. الخطبة ومن ثم كتابة العقد بين الطرفين:

كانت الخطبة تتم من خلال مراحل، ولكن لم يكن هذا قانوناً عاماً متبعاً في كل الحالات، وأهم هذه الخطوات المتبعة قبل البدء بالخطبة:

★ **الاختيار:**

من الشروط الأساسية المتبعة في الخطبة، أن يقوم الرجل باختيار شريكة حياته، وهي التي تعد الشريك والرفيق الدائم ما دام حياً، ولأن الشروط الموضوعة في الاختيار مهمة جداً ولأغلب شرائح المجتمع الأندلسي، فقد كثرت الإشارات في كتب الأمثال التي جاء فيها وصفاً دقيقاً في الحث على الاختيار، ولعل هذا المثل ما يبرهن حقيقة وجوب الاختيار قبل الخطبة فقد ورد أحد الأمثال الذي يقول:

" من لا يختار ما يفقد عار"[1]، وعلاوة على التدليل إلى وجوب الاختيار، فإنه يفهم من المثل أنه لا يندم من يقوم بالاختيار، وعند بعض الأشخاص تعاملوا مع هذا الأمر بجدية واضحة، فكانوا الأولياء يختارون لأبنائهم، وكان في بعض الحالات الشيخ المدرس هو من يقوم بالاختيار لابنته أحد تلاميذه[2]، ويرجح أن علم هذا المدرس بأخلاق تلميذه وما توافرت فيه من صفات المروءة وحسن السلوك والاستماع والاقتداء بالمدرس، لما كان عرض عليه الأمر ولما كان وقع عليه الاختيار، كانت ضرورة الاختيار عند العامة تفرض على بعض النساء، وخاصة الأمهات أن يمدحن بناتهن أملاً في أن يكن من المختارات للزواج، وليس من الغلو القول بأن مثل هذه الأمور كانت من البديهيات في المجتمع الأندلسي في الفترة المدروسة، وكانت رائجة في المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين[3].

★ **صفات وخصائص الاختيار:**

---

[1] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص330.

[2] **ابن عبد الملك**، محمد بن محمد (ت703هـ/1304م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: محمد بنشريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ق:2، ص416.

[3] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص341.

اختار الشاب شريكة حياته مراعياً في ذلك عدة أمور غاية في الأهمية، إلا أن هذا الاختيار أيضاً اختلف باختلاف المجتمع والبيئة الثقافية التي ينتمي إليها الشاب، وهذا ما لا يمكن إغفاله، لاسيما وأن كتب النوازل تحدثت عن هذا الأمر، وتوفرت فيها مادة مهمة جداً يمكن أن تخدم البحث، إذ ركزت العامة على المرأة الحسناء الجميلة، ويوافق أيضاً من تكون شقراء حسنة[1]، ومما يؤكد حرص العامة على اختيار المرأة البدينة هو استهزائهم بالمرأة النحيفة البدن، حيث يشبهونها بنوع من حلوى العيد[2]، ولكن ليست كل امرأة بدينة هي حسناء، وإنما البدينة الطويلة وليست القصيرة، وكانوا يعدون أن من خسارة المرء تزوجه المرأة البدينة القصيرة[3]، وكان العيب الأكبر بنظرهم إذا تزوج المرأة القصيرة غير البدينة، وهذا ما جعل النساء في ذلك المجتمع يحاولون الحفاظ على بدانتهم حتى أصبحت من العادات السيئة المتبعة، وعلاوة على هذا الأمر أصبحت النساء في ذلك المجتمع تنتهك حرمة رمضان ويفطرن ولا يصمن رغم استنكار الفقهاء لذلك الأمر، وكل ذلك كان خوفاً من انتقاص وزنهم[4]، وضعفهم الذي يصبح عيباً من وجهة نظر مجتمعهم، كما أن المرأة العرجاء لم تسلم من استهزائهم وسخريتهم، ومهما يكن من أمر فإنه من الغرابة أن يسود مجتمع إسلامي مثل تلك العادات والتقاليد التي لو أسقطناها على مجتمعنا المعاصر نقول أن هذا المجتمع هو مجتمع متخلف غير متحضر، ووصل بهم الأمر إلى الذم في صورة المدح، عن بعض الصفات المستقبحة في المرأة فيقولون في ذلك "**الجمال الفاخر: صغر العينين وكبر المناخر**"[5]. هذا كان ما يخص عامة المجتمع الأندلسي الذي هو موضوح الدراسة، أما ما يخص

---

[1] الشقراء في معظم الأحيان ليست عربية ولا بربرية، إما أن تكون من المولدين أو المسيحيين، وبهذا يمكن القول: إن مسلمي الأندلس كانوا يختارون الأوربية على المسيحية والبربرية. **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص341.

[2] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص207.

[3] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص169.

[4] وتذكر النازلة أن إحداهن قد عقد عليها زوجها ولم يبن بها فتركت الصوم خيفةً على بدنها أن ينقص وأفتى في ذلك العلماء وأجمعوا على حرمته واعتبروه أمراً قبيحاً، **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج2، ص487.

[5] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص129.

الطبقة ذات المستوى الثقافي المعتبر فالملحوظ أنه رغم انتقاد العامة للنساء العالمات[1]، إلا أن هؤلاء المثقفين كانوا يتنافسون فيما بينهم على المرأة صاحبة العلم والذكاء، ورغم الحديث عن تلك الطبقة المثقفة إلا أنه هناك من اتجه باتجاه العامة وقرر الاختيار من النساء الحسناوات وخير دليل هو **عبد الله بن ياسين** الذي كان لا يسمع بإمرأة حسناء إلا وخطبها، إن هذه الاعتبارات على الرغم من أنها كانت اعتبارات تختلف من فرد لأخر كل حسب حاله الاجتماعية والثقافية، إلا أنه ثمة شرطاً رئيسياً اتفق عليه الجميع، بل وتم التأكيد عليه في أكثر من مناسبة، وجاء ذلك في كتب النوازل التي تحدثت عن ذلك الأمر[2].

وهذا الأمر هو بكارة المرأة، حيث كانت هنالك عدة مشكلات وخلافات حول المرأة التي يشك بها أنها عذراء أم بكر؟[3]، ولاعتبار هذا الشرط أساسياً في الزواج فقد كانت الأنثى الأندلسية مثالاً في الحفاظ على عذريتها، وحرص المجتمع وحث الفتاة من أجل الحفاظ على عذريتها، حتى لو أنها انحرفت في تصرفاتها[4]، فالأباء أشد حرصاً على بناتهم في هذا الجانب، وللفرد حق الاختيار وانتقاء شريكة حياته، والمرأة أيضاً تختار شريك حياتها، ويتم ذلك بعد أن يتقدم الرجل إلى خطبتها، إذ كان لها قدر من الحرية في الموافقة أو الرفض للشخص الذي يتقدم إليها، والأمر عائداً إلى العائلة التي تعيش فيها الفتاة وليس أمراً لازماً عند كل العائلات، ورغم كثرة هذه الاعتبارات التي تحدثت عنها كتب النوازل فقد تحدثت أيضاً على أن الشباب الأندلسي قد تزوج مطلقة[5]، أو

---

(1) **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص416.

(2) **ابن الزبير: صلة الصلة**، تح: عبد السلام أهراس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 1416هـ/1995م، ج5، ص309. **ابن عذاري: البيان المغرب**، ج:4، ص16.

(3) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص130.

(4) **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص132.

(5) **البرزلي: جامع مسائل الأحكام**، ج:2، ص169.

مطلقة ولها أولاد[1]، ومنهم من تزوجها طمعاً في مالها ومكانتها الاجتماعية[2]، وهذا ما ورد سابقاً أثناء الحديث عن المجتمع المغربي، كما وكان الحر يتزوج الأمة أما الحرة، فقد منع الفقهاء زواجها بالعبد، هذا كان بعضاً من صفات وخصائص الاختيار في المجتمع الأندلسي أم الخطوة الثالثة لإتمام الخطبة فهي:

★ **شروط كتابة العقد:**

لابد في الحديث عن العقد وشروط كتابته من ذكر الألفاظ التي استعملها الأندلسيون للإشارة على العقد، وبناءً على ما تقدمه كتب الوثائق والعقود والنوازل يوجد اللفظ ضمن نازلة، أو مسألة، أو حكم من الأحكام الفقهية، أو على شكل صيغة أو وثيقة.

استعمله البعض منه باسم" العقد"[3] دون إضافة، ولفظه البعض الأخر باسم "عقد الزواج" أو "عقد النكاح" وهناك من اصطلح عليه باسم عقد الصداق، أو حتى "كتاب الصداق" إلا أن هذا العقد لا يدل على دفع المهر، وإنما يدل على كل ما يحمله عقد الزواج من معنىً، والباحث يجد ان لفظ" عقد النكاح" هو اللفظ الأكثر شيوعاً، والأكثر استخداماً، واصطلاحاً للدلالة على عقد الزواج، ورغم الاختلاف في اللفظ إلا أن المحتوى واحد وعليه فإن الألفاظ: "العقد"، "عقد الصداق" و"عقد النكاح" و "كتاب الصداق"، كلها اصطلاحات يراد بها الصيغة والوثيقة التي تتضمن كل ما يدور أثناء اللقاء قبل البناء بين الطرفين العقد (أهل الزوج وأهل الزوجة) [4].

وغالباً ماكن يتم قبل التقاء الطرفين وكتابة الشروط في العقد بين الطرفين قد حددوا في وقت سابق اليوم الذي تم فيه، ويكون كأخر خطوة يقدم عليها الزوج المقبل على بناء الأسرة، وعند حلول هذا اليوم الذي تم الاتفاق عليه من قبل الطرفين والذي يعد يوم الاحتفال يجتمع به الطرفان والشهود وكل من دعي الى الحفل من: إخوان وجيران وأصحاب، وتوزع عليهم أصناف الحلوى والكعك[5]،

---

[1] **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص135.

[2] **بوتشيش**، إبراهيم القادري: **ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية**، مجلة دراسات أندلسية، رجب1413هـ/ 1993م، عدد9، ص12.

[3] **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص35.

[4] **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص107.

[5] **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص120-131.

وغالباً ما يتم في إحدى المساجد– حيث عامة أهل البلدان تعقد أنكحتهم بالمساجد– كونهم يعتقدون أن فيه جلب للبركة، أو إلى صاحب خطة المناكح، حيث كان يتم من خلال تزويج من غاب عنها وليها، ولأهمية هذه الخطة يلاحظ أن ابن عبدون وضع شروط الفقه والورع في صاحبها[1].

وكما مر في المجتمع المغربي، فإن كتابة هذا العقد تتم في المناطق الحضرية من المجتمع الأندلسي، أما في القرى فيتم الأمر في المساجد، وإذا كانت القرية نائية عن المسجد والمدينة أو حتى فقيرة، فيتولى ذلك الأمر أهل الزوج والزوجة، ومجموعة من عدول أهل القرية[2]، أما عن الشهر المستحب للقيام بمثل هذه المناسبة فهو شهر شوال، وذلك تبعاً لما جاء في كتب الفقه، ومن الملحوظ أن كتب النوازل والفقه فصلت في العقد وشروطه، ودون ذلك على شكل نوازل أو أحكام أو وثائق توضح فيها أهم شروط الطرفين[3].

### 2. تجهيزات ما قبل الزواج:

من العادات المتبعة من قبل المجتمع الأندلسي في التحضير قبل الزواج، هي ما كان يقدمه الزوج لزوجته من مال تعتمد عليه في تحضير نفسها لبناء أسرتها وكان يتمثل في الأمور التالية:

★ **المهر المقدم من قبل الرجل:**

قبل التعرف على موضوع المهر وأهميته عند الأندلسيين لابد من ذكر أهم التعريفات والأسماء التي كانت تطلق على المهر عند الأندلسيين، حيث جاءت ألفاظ وتراكيب عدة تؤدي معنى المهر، حيث استعمله البعض بلفظ "الصداق"، وبعضهم بلفظ" طاع"، والبعض الأخر استعمل تراكيب وألفاظ أخرى مثل "دفع إليها" أو "تزوج على"، وكثيراً ما تردد استعمال اللفظ "ساق" وهو مستعملاً بصورة كبيرة في كتب النوازل، وعلى الأرجح أن هذا اللفظ هو الأكثر استعمالاً عند العامة والخاصة من المجتمع الأندلسي[4].

---

(1) **التادلي: التشوف إلى رجال التصوف**، ص75.

(2) **دندش**، عصمت: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص302.

(3) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص271.

(4) **ابن رشد: فتاوى ابن رشد**، ج1، ص176. **البرزلي: جامع مسائل**، ج3، ص129.

وهناك من الأزواج من ساق لزوجته الكثير من المال، أو عدد من المواشي[1]، ومن الملاحظ أن كتب الوثائق ذكرت المهر، وقيمته، ونوعه وكثيره وقليله، وأشرك الزوج بالسياقة زوجته، وساق لها جزءاً من أملاكه، بل بالأحرى نصفها، فعلاوةً على الكسوة وبعض الحلي والسوار فقد ساق لها الزوج بستاناً وإحدى العقارات[2]، أما بعضهم ساق قيمة مالية كبيرة قدرت بخمسة وعشرين ديناراً ذهبياً، وعلى العكس من ذلك وجد من لا يستطيع دفع ذلك كله فساق لزوجته نصف قطعة أرض، واشترط أن يتم بناء البيت بالمناصفة[3]، ولم يستطع الأخر أن يدفع المهر بالكامل فدفع جزءاً منه ويدعى نقداً، وأجل لجزء الأخر ويدعى "كالئاً"، وقد جاء في كتب التراجم أن بعض الرجال لم يؤد المهر المؤجل حتى قربت ساعة وفاته[4].

أما عن تحديد وقت دفع المهر فقد تم الاتفاق على أن يتم دفعه إما يوم عقد النكاح، حيث يتولى ولي الزوجة ذلك، أو يكون له عقد خاص كما جاء في كتب العقود والوثائق، وهي التي فصلت بين عقد النكاح وعقد قبض النقد والمهر، إلا أن المهر المؤجل في معظم الأحيان لا يحدد بوقت معين ولا تاريخ، وفي يوم دفعه يكتب الموثق لذلك عقداً، يذكر فيه الدافع وشكل المهر، وقيمته، ونوعه، وكان يختم العقد بذكر الشهود، ويدون بتاريخ[5].

وعليه يمكن القول أن المهر– الصداق– هو المصدر المالي الأول الذي تحصل عليه المرأة بعقد نكاحها، إلا أن قيمته غير موحدة وغير محددة بضوابط، وكان مما يتحكم في مقداره الحالة الاجتماعية التي ينتمي إليها الزوج، كما وجاء المهر في عدة صور فإما أن يكون معجلاً بأكمله وبقيمة كبيرة، وإما أن يكون معجلاً ومؤجلاً.

★ **الحصول على بيت الزوجين:**

---

(1) **البرزلي: جامع مسائل**، ج2، ص208.

(2) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج3، ص129.

(3) **البرزلي: جامع مسائل**، ج2، ص206.

(4) **السلفي**، أبو طاهر: **أخبار وتراجم أندلسية**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1985م، ص19.

(5) **الونشريسي: المعيار المعرب**، ج2، ص129.

ومن التحضيرات المالية التي يفكر الزوجان فيها هي الحصول على البيت الزوجية، وهو السكن الذي يأوي إليه الزوجان بعد الزواج، لذلك ظل الحصول عليه هو الهاجس لدى أغلب المجتمع الأندلسي، ولا يمكن إغفال الوضع المالي والفرق بين الغني والفقير، أو بين الخاصة والعامة في الحصول على ذلك.

أما عن وضع الخاصة فلم يكن هذا الأمر يشكل عائقاً لديهم، حيث أنه دون بحث أو محاولة من الممكن أن يحصل ابن العامة أو ابنتهم على المنزل، وغالباً الحصول يتم من خلال عقد النكاح، حيث كانت تعطى الزوجة منزلاً أو قطعة أرض من أجل بناء المنزل، وإن لم يحصل ابن تلك الطبقة على المنزل بالطرق السابقة، فلا بد وأن له الرصيد المالي الذي سيبتاع به ذلك، وجاء في ذلك صيغ عقود ووثائق مفصلة، أما عن الفقير فقد كان يلجأ الى شراء جزء من البيت وبعد فترة يستكمل شراء ما تبقى منه، أو شراءه ثم يدفع قيمة الشراء أقساطاً، كما ومن الملحوظ أنه تم الاشتراك غالباً في شراء المنزل بين شخصين، ويتم الاتفاق على اقتسام سكن البيت[1].

وكلا الزوجين يفكران في طريقة الحصول على البيت الذي يجمعهما، لكن الغريب عدم وجود أي نازلة أو معلومات تشير إلى أن الابن كان يسكن مع والديه، وفي الوقت نفسه وجد من الأولياء من أسكن صهره معه في المنزل[2]، أما عن منازل الفقراء، فقد وصفت بأنها عبارة عن حجرات صغيرة يتوسطها بئر، ويكون سقفها في بعض الأحيان قرميداً أو حتى تبناً[3].

### 3. مراسم الزفاف:

ما يلاحظ في عادات المجتمع الأندلسي من مراسم الزفاف أنها لا تختلف كثيراً عن مجتمعاتنا الحالية في طريقة المراسم التي تجري وكان للزفاف مراسم أو عادات تبدأ بتزيين العروس.

★ **تزيين العروس:**

---

(1) **بوتشيش: الأسرة المغربية**، ص32.

(2) **البرزلي: جامع مسائل**، ج2، ص217.

(3) **المقري**، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ/1968م، ج:3، ص220.

وكان من أهم العادات المتبعة في تزيين العروس وزفها، هو الماشطة – وهي التي تقوم بالتكفل بتزيين العروس، وتسريح شعرها[1]، وتجميلها بمختلف أدوات الزينة والعطور– وقد كان فن الماشطات بتزيين العروس يتعدى ذلك إلى تزيين العروس بأنواع مختلفة من الزينة والمصوغات من الحلي والذهب، بل أيضاً بالحناء في الكفين، والكحل في العيون، كما وكانت العروس في الأندلس تتميز عن النساء لمدعوات الى العرس، وكانت ترتدي اللباس الخاص بالعروس الموشى بالديباج والذهب، وكان الاختلاف أيضاً في كان الجلوس التي تجلس عليه الفتاة، حث كانت تجلس على كرسي وتدور حولها النساء أو على منصة خاصة، أو على منصة أو كرسي مثقل[2].

★ **زف العروس الى البيت الزوجية:**

أما عن كيفية زف العروس فتبقى المعرفة بهذا الأمر ضئيلة وقليلة جداً، إلا أن ثمة وصف لهذا الأمر بأن أهل الزوج وجماعة من الرجال والنساء يقصدون دار أهل الزوجة من أجل القيام بجلب الزوجة، وما يتبع ذلك من الغناء والبهجة، وكان يخرج الموكب متجهاً الى بيت الزوج، والعريس فيها يحمل على الحصان، أما العروس فكانت تحمل على الهودج، وكانت تتبعهما البغال المحملة بالهدايا[3].

★ **الوليمة:**

يتم في يوم الزفاف وليلته إقامة احتفال في بيت الزوج وكان يحضره أهل الزوج وأهل الزوجة المدعوين، وهذا الاحتفال اصطلح عليه لفظ الوليمة، ولم ير فيه فقهاء ذلك العصر الأمر الواجب وإنما مرغبين فيه فقط، وكانت بمناسبة هذا اليوم الذي هو مناسبة اجتماعية تطهى الأنواع المتعددة من الأطعمة، ويقوم بالطهي الطباخ الذي استدعي من أجل تلك المهمة، وكان يقدم للحاضرين من أهل الزوجة الزوج المدعوين إلى هذه الوليمة[4].

---

(1) **ابن الخطيب**، محمد بن عبد الله (ت 776هـ/1375م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، ج2، ص253.

(2) **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص53.

(3) **حسن**، محمد: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية، 1999م، ج:2، ص289.

(4) **البرزلي: جامع مسائل**، ج5، ص520.

ولعل الوصف الأنسب ما جاء لدى ابن الخطيب الذي كان قدم وصفاً لأيام الأعراس بقوله: "... وقد زينت العيون بالتكحيل والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومد بالغالية على مواضع السجود،... ودخلت العروس في حليتها ورقمت الكفوف بالحناء،... وغص الذراع بالسوار وتختر باليمين وباليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار، وانقلب الكل الى أهله مسروراً..." [1].

**3- تربية الأبناء داخل الأسرة الأندلسية:**

بعد تكوين الزوجين للأسرة واستقرارهما في البيت الزوجية التي عملوا على الحصول عليها، يتجه تفكيرهما نحو بناء الأسرة، وانتظار المولود، وذلك انطلاقاً من مبدأ تكوين الأسرة وهو حفظ النسل، واستمرار البشرية، ومن أجل ذلك كان على الأسرة أن توجه اهتمامها الى هذا النسل، وتربيته أحسن تربية، وتلقينه العلوم المفيدة له ولمجتمعه[2].

وعليه بعد مجيء المولود تحتفل الأسرة به، وهو يصبح فرداً تحاط به كل العناية، وعليه تبدأ مراحل تربية الأطفال وأهمها:

★ **التربية الخلقية للطفل:**

وبعد أن يأتي الطفل إلى العائلة التي تسر به وتحتفل على عادات وتقاليد تختلف من مجتمع إلى أخر، تبدأ تربية الطفل في الأسرة التي يتبع لها وتجتهد الأسرة في التربية، وتنشئته تنشئة صحيحة، وذلك قبل أن تدفع به لأن يصبح فرداً فاعلاً في المجتمع.

وعلى هذا يذكر أحد الباحثين التربويين أن:" الطفل صورة عائلته، فكل ما فيها من خير أو شر، وكل ما سمعه ورآه ينطبع فيه"[3]، وبناءً على هذا فإن الأسرة وخاصة الأم كانت مجبرة على إحاطة الطفل بالتربية الحسنة، وهذا الأمر يتطلب منها الصبر، والعقل، والحنو، والمحبة الخالصة. ولبعض العلماء رأي في تربية الأبناء، وذلك أن التربية تبدأ عند فطام الصبي عن الإرضاع وذلك قبل أن تهجم ليه الأخلاق الذميمة، وذلك لأن الصبي تبادر إليه مساوئ الأخلاق، وتتثال عليه.

---

[1] **ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة**،ج2، ص253.

[2] **محمود**، قمبر: **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، ط:1، 1413هـ/1992م، ج:3، ص1.

[3] **محمود: دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، ج3، ص10.

وعد أخرون أن الطفل أمانة في أعناق والديه، ولحفظ هذه الأمانة لابد من تأديبه وتعليمه محاسن الأخلاق، وحفظه من صداقة السوء، وعدم تعويده على النعم، بل وإبعاده أيضاً عن الزينة والرفاهية، وحقيقة من قرناء السوء يتعلم السوء، ومن النعيم لا يمكن أن يصبر على الشدائد، ومن الرفاهية يكون اللهو في معظم الأحيان، ويؤكد ذلك المثل القائل" من أساسه يكون بنيانه"[1]، ورغم ذلك فقد وجد من الآباء من أساء التصرف في تربية أبنائه، وكثرت انتقادات العامة في المجتمع الأندلسي على كثير من تصرفات الآباء في تربية أبنائهم، ولذلك فإن تربية الطفل واجبة ومساهمة جدية في نظام الأسرة والمجتمع الأندلسي وغيره من المجتمعات، فإذا كان الأهالي غير مسؤولين عن هذه الأمانة التي أعطاهم الله تعالى إياها فإنه بالطبع سوف تضيع هذه الأمانة، كما واهتمت كتب الطب بذلك الامر لخطورته وذكرت انه" لا ينبغي أن يحمل الطفل في الزجر، والتأديب قبل سبع سنين"[2].

**الخاتمة:**

وإذا كان ما تقدم في البحث يشكل أهم المحاور التي من خلالها يمكن معرفة مراحل تشكل الأسرة؛ وعليه يمكن القول إن:

– حياة الأسرة الأندلسية مثلت أهم مظهر للتفاعل بين عناصر المجتمع، أو بمعنى أخر بين الأندلسيين والداخلين عليهم، وذلك دون محاولة الفصل أو التمييز بينهمز

– تبقى الأسرة الأساس الأول في تكوين المجتمعات، ولولاها لما تحدث الباحثون عن مجتمع، أو حتى عن عادات وتقاليد سادت بهذا المجتمع أو ذاك...

---

[1] **الزجالي: أمثال العوام في الأندلس**، ق2، ص63.

[2] **العريني**، أحمد: **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**، مطبوعات الملك عبد العزيز ، الرياض، السعودية، ط:1، 1416هـ، ص97–100.

## رابعاً- قائمة المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- **ابن الأبار**، محمد بن عبد الله (ت658هـ/1260م): **تحفة القادم**، تعليق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط أولى، 1406هـ/1986م.

3- **البخاري**، محمد بن إسماعيل (ت256هـ/870م): **صحيح البخاري**، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط3، 1987م، كتاب النكاح.

4- **البرزلي**، محمد بن أحمد (ت841هـ/1438م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام، تح:محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2002م.

5- **البيذق**، أبو بكر الصنهاجي (ت555 م): **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، نشر: ليفي بروفنسال، باريس،فرنسا، 1928م.

6- **البكري**، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1095م) : **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، د.ت.

7- **التادلي**، يوسف بن يحيى (ت617هـ/1220م): **التشوف الى رجال التصوف**، تح: أدولف فور، الرباط، المغرب، ، 1958م.

8- **ابن الخطيب**، محمد بن عبد الله (ت 776هـ/1375م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م.

9- **ابن رشد الجد**، محمد بن أحمد (ت520هـ/1127م): **فتاوى ابن رشد**، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.

10- **الزجالي**، عبيد الله بن أحمد (ت694هـ/1295م): **أمثال العوام في الأندلس**، تح: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية، فاس، المغرب ، 1391هـ/1971م.

11- **ابن أبي زرع**، علي بن عبد الله (ت720هـ/1320م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: محمد الهاشمي الفيلالي، الرباط، المغرب ، 1936م.

12- **السلفي**، أبو طاهر: **أخبار وتراجم أندلسية**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985م.

13- **ابن سهل**، عيسى بن عبد الله (ت413هـ/1022م): **ديوان الأحكام الكبرى**، تح: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م.

14- **الشوكاني**، محمد بن علي (ت1250هـ/1834م): **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

15- **ابن عبد الملك**، محمد بن محمد (ت703هـ/1304م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: محمد بنشريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت.

16- **ابن عذارى**، أحمد بن محمد (712هـ/1313م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

17- **القرطبي**، محمد بن أحمد (ت671هـ/1273م): **أحكام القرآن**، تح: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1372هـ.

18- **ابن كثير**، إسماعيل ابن كثير (ت744هـ/1373): **البداية والنهاية**، كتبة المعارف، بيروت، لبنان، د.ت.

19- **ابن كثير**، إسماعيل ابن كثير(ت744هـ/1373): **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ، 1401هـ.

20- **المالكي**، عبد الله بن محمد (ت453هـ/1061م): **رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

21- **مؤلف مجهول،** (ت خلال القرن 8هـ/14م)**: مفاخر البربر**، تح: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للأبحاث الدولية، مدريد، 1996م.

22- **المراكشي،** عباس بن إبراهيم(ت 1379هـ/1959م)**: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، عدد الأجزاء: 8، فاس ،ط:1، عام 1936م.

23- **الوسياني،** سليمان عبد السلام (ت557هـ/1161م)**: سير مشايخ المغرب**، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، عام 1985م.

24- **الونشريسي،** أحمد بن يحيى (ت914هـ/1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط،1401هـ/1981م.

## قائمة المراجع العربية والمجلات:

1- بوتشيش، إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، منشورات الجمعية المغربية للدراسات التاريخية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط2، عام 2004م.

2- بوتشيش، ابراهيم القادري: ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية، مجلة دراسات أندلسية، رجب1413، 1993م، عدد9.

3- حسن، علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي بمصر، ط:1، 1980م.

4- حسن، محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية، 1999م.

5- دحماني، سهام: العائلة الصوفية بين القدسية والتفكك، قراءة في تاريخ العائلة الصوفية في الفترة الممتدة من القرن6هـ/9م، مقال ضمن كتاب المرأة والخطاب الصوفي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2010م.

6- دندش، عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، 1988م.

7- ريّه، عطا علي: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الحكمة، دمشق، سورية،ط:2، 1999م.

8- السمالوطي، نبيل: الدين والبناء العائلي، دار الشروق للطباعة، جدة، السعودية، ط أولى، 1981م.

9- العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات الملك عبد العزيز ، الرياض، السعودية، ط:1، 1416هـ.

10- عنان، محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، مصر، ط:1، 1964م.

11- محمود، قمبر: دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، ط:1، 1413هـ/1992م.

12- مصطفى، بوتنفوشت: العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، تر: أحمد دمري، د.ط، الجزائر، 1984م.